

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس الاستاذ آية الله السيد رضا حسيني نسب في :

علم الدراية

المبحث العاشر

اصول الحديث

مدرسة الشيعة الإمامية تعتقد بأنّ التشريع لا يحقّ لأحد قطّ سوى الباري عزّ و جلّ ، سواء كان التشريع و التقنين في نطاق الفرد أو المجتمع. وهذه القوانين الإلهية والأحكام الشرعية تبيّن للناس بواسطة النبيّ (صلى الله عليه وآله) باعتباره الوسيلة الوحيدة للارتباط بالله من خلال الوحي .

و بهذا يتّضح أنّ اعتماد الشيعة على أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) هو باعتبارها موضحة و مفسّرة لسنة النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، لا باعتبارها دليلاً في مقابل الكتاب و السنة النبوية .

وعلى هذا الأساس، فكلام أهل البيت (عليهم السلام) في الحقيقة هو ما ورد في السنة النبوية . ولأجل إثبات ذلك نذكر بعض الروايات الواردة في هذا المجال :

1- قال الإمام الصادق (عليه السلام) في جواب رجل سأله عن مسألة :

«مهما أحببتك فيه بشيء فهو عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لسنا نقول برأينا من شيء»⁽¹⁾ .

2- و قال الإمام الصادق(عليه السلام) أيضاً :

«حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدّي ، وحديث جدّي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وحديث رسول الله قول الله عزّ و جلّ»⁽²⁾ .

3- و قال الإمام الباقر (عليه السلام) لجابر :

(1) بصائر الدرجات ، ص 320 .

(2) الكافي ، ج 1 ، ص 53 ، ح 14 .

«حدّثني أبي ، عن جدّي ، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن جبرئيل، عن الله تبارك و تعالی ، و كلّما أُحدّثك بهذا الإسناد»⁽³⁾ .

فعلى ضوء هذه الأحاديث تتضح حقيقة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) وأنها عين ما ورد في سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

و لأجل هذا نقول: تنتهي أحاديثنا و أخبارنا إلى هؤلاء الأئمّة المعصومين، صلوات الله عليهم أجمعين. و هم ينتهون فيها إلى رسول الله الأعظم صلى الله عليه و آله و سلّم، و يقتبسون أنوار الهداية من شمس النبوة.

دليل التمسك بالأئمّة المعصومين

بعد بيان ماهية أحاديث أئمّتنا الكرام، يجدر بنا أن نلقي الضوء على الأدلّة التي تثبت وجوب التمسك بأحاديثهم المعتمدة، و آثارهم القيّمة.

اتّفق المسلمون من كلا الفريقين على أنّ النبيّ (صلى الله عليه و آله) خلّف بعده ثقلين عظيمين ، و دعا المسلمين إلى اتّباعهما ، بين للناس أنّ الهداية مقرونة بالتمسك بهما. و هذان الثقلان هما : كتاب الله وعترته أهل بيته .

(3) وسائل الشيعة ، ج 81 ، ص 69 ، ح 67 .

و نذكر فيما يلي بعض هذه الروايات من باب المثال :

1- روى الترمذي في صحيحه عن جابر بن عبد الله :
«رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعتة يقول : يا أيها الناس إني تركت فيكم من [ما] إن أخذتم به لن تضلّوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»⁽⁴⁾ .

2- وروى الترمذي في صحيحه أيضاً عن زيد بن أرقم قال :
«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»⁽⁵⁾ .

3- وروى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم :
«قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، و وعظ و ذكر ، ثمّ قال : أمّا بعد ، ألا أيها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين ، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به . فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ، ثمّ قال : وأهل بيتي ،

(4) سنن الترمذي ، ج 5 ، ص 328 ، ح 3874 .

(5) سنن الترمذي ، ج 5 ، ص 329 ، ح 3876 .

أُذَكِّرْكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أُذَكِّرْكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ،
أُذَكِّرْكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»⁽⁶⁾ .

4- روى جملة من المحدثين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال :

«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ ، كِتَابَ اللهِ وَأَهْلَ بَيْتِي ، وَإِنَّهُمَا لَنْ
يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»⁽⁷⁾ .

وينبغي الإشارة إلى أنّ الأحاديث الواردة بهذا المضمون أكثر
من أن تسعها هذه الرسالة الموجزة، وقد ذكر المحقق الجليل
السيد مير حامد حسين في كتابه «عبقات الأنوار» أسانيد
هذا الحديث .

فيعلم من خلال هذا الحديث الشريف أنّ التمسك بأهل بيت
النبيّ (صلى الله عليه وآله) واتباعهم إلى جانب كتاب الله
وسنة نبيّه هو من ضروريّات الإسلام ، وأنّ ترك كلام أهل
البيت يوجب الضلال و الغواية .

و هنا يطرح السؤال التالي نفسه: من هم العترة التي أمر
النبيّ (صلى الله عليه وآله) الأمة باتباعهم ؟

(6) صحيح مسلم ، ج 7 ، ص 122 .

(7) المستدرک علی الصحیحین ، ج 3 ، ص 148 . الصواعق المحرقة ، ص 149 ، الباب 11 ،
الفصل الأول .

وروي هذا المضمون في كتب أخرى منها : مسند ابن حنبل ، ج 5 ، ص 182 و 189 . كنز
العمال ، ج 1 ، ص 44 ، باب الاعتصام بالكتاب والسنة .

لأجل الجواب على هذا السؤال نذكر الروايات التي بيّنت معنى عترة النبيّ (صلى الله عليه وآله) .

من هم أهل البيت؟

أتّضح من الروايات المذكورة أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) حتّى المسلمين ودعاهم لاتباع عترته ، وجعل الهداية رهينة بالتمسك بها وبالقرآن معاً ، وجعلهما المرجع للأمة بعده ، وصرّح بعدم انفصال أحدهما عن الآخر بقوله :
«وإنّهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض».

فبما أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) جعل العترة قرينة للقرآن أبداً ونفى انفصالهما للأبد بقوله : «وإنّهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض» ، فلا بدّ أن يكونوا معصومين من الخطأ ومنزّهين عن الزلل ، وأن يكونوا ممن تغذّي من زلال عين المعارف الإلهيّة الحقّة . ولولا ذلك كله فإنهم سينفصلون عن القرآن الكريم ، والحال أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) صرّح بعدم انفصالهما أبداً .

وبهذا يعرف المقصود من العترة وأهل البيت في الحديث الشريف ، فإن هذه الصفات لا تنطبق على أحد سوى ذريّته الذين هم عترته وأهل بيته ، وهم أئمة الشيعة عليهم وعلى جدّهم آلاف التحيّة والسلام .

و إليك فيما يلي - وعلى ضوء الروايات - أدلّة ما ذكرناه :

1- روى مسلم في صحيحه حديث الثقلين عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم ، وذكر فيه أنّ يزيد بن حيان سأل زيد بن أرقم فقال :

«من أهل بيته ؟ نساؤه ؟! قال : لا و أيم الله ، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثمّ يطلّقها ، فترجع إلى أبيها وقومها . أهل بيته أصله وعصبته الذين حرّموا الصدقة بعده»⁽⁸⁾ .

فصريح هذه الرواية أنّ عترة النبيّ (صلى الله عليه وآله) الذين يجب التمسكّ بهم ليسوا نساءه ، وإنّما هم منتسبون إليه مادياً ومعنوياً ، ولهم خصوصيات تميّزهم عن غيرهم بحيث تجعلهم - إلى جانب القرآن - مؤهلين لهداية و قيادة الأمة الإسلاميّة بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) .

2- لم يكتفِ النبيّ(ص) ببيان أوصاف أهل بيته ، وإنّما ذكر عددهم وهو «إثنا عشر» ، فروى مسلم في صحيحه عن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة يقول :

«سمعت رسول الله (ص) يقول : لا يزال الإسلام عزيزاً إلى إثني عشر خليفة. ثمّ قال كلمة لم أفهمها ، فقلت: لأبي ما قال؟ فقال : كلّهم من قريش»⁽⁹⁾ .

(8) صحيح مسلم ، ج 7 ، ص 123 .

(9) صحيح مسلم ، ج 6 ، ص 3 .

كما روى مسلم في صحيحه أيضاً ما يلي :

«لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم إثنا عشر رجلاً»⁽¹⁰⁾ .

فهاتان الروايتان دليل واضح على ما يقول به و يعتقده الشيعة من أنّ الأئمة الإثنا عشر من ذرية النبيّ (صلى الله عليه وآله) هم الخلفاء وقادة الأمة بعده ، فإنّه لا يوجد مصداق للخلفاء الإثني عشر - الذين هم سبب لعزة المسلمين من جانب ، ولهم أهليّة قيادة الأمة من الناحية العلميّة من جانب آخر ، وأن يكونوا بعد رحلة النبيّ (صلى الله عليه وآله) مباشرة من جانب ثالث - سوى الأئمة الإثنا عشر من أهل البيت ، فإننا إذا غضضنا الطرف عن الخلفاء الراشدين ولاحظنا الخلفاء الذين تولّوا أمور المسلمين من بعدهم - سواء من بني أمية أو من بني العباس - فإننا نجدهم ارتكبوا قبيح الأفعال ، فصاروا عاراً على الإسلام والمسلمين ، ولم يكونوا سبباً لعزّتهما . وبهذا يتّضح أنّ المقصود من «أهل البيت» و «العترّة» في الحديث المذكور - والذين هم قرين القرآن والذين هم خلفاء النبيّ (صلى الله عليه وآله) على أمّته - هو الأئمة الإثنا عشر من أهل البيت (عليهم السلام) الحافظين لسنة الرسول والحاملين لعلمه (صلى الله عليه وآله) .

(10) صحيح مسلم ، ج 6 ، ص 3 .

3- ذكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أيضاً أنّ الأئمة و خلفاء المسلمين هم من بني هاشم ، وهذا دليل آخر على صحة ما يقول به الشيعة ، وذلك قوله :
«إنّ الأئمة من قريش ، غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاة من غيرهم»⁽¹¹⁾ .

النتيجة

الروايات المذكورة تسفر عن أمرين :

- 1- أنّ التمسك بأهل البيت (عليهم السلام) واتباعهم إلى جانب التمسك بالقرآن واجب .
- 2- أنّ أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) باعتبارهم قرين القرآن ومرجع الأمة الإسلامية بعد النبيّ كما قال هو (صلى الله عليه وآله) ، يتمتّعون بصفات وخصائص هي :
أ- هم جميعاً من قريش ومن بني هاشم .
ب - تربطهم جميعاً قرابة برسول الله (صلى الله عليه وآله) تجعل الصدقة عليهم حراماً .
ج - يتمتّعون جميعاً بالعصمة ، وإلاّ فإنّهم سينفصلون ويفتقرون عن القرآن عملاً ، مع أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال :
«إنّهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض» .

(11) نهج البلاغة ، الخطبة 144 .

د - عددهم إثنا عشر ، يأتون بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، ويلون أمر المسلمين واحداً بعد واحد .

هـ - إنهم سبب لعزّة الإسلام والمسلمين ولقوّة شوكتهم .
فمع أخذ هذه الأوصاف بنظر الاعتبار يتّضح أنّ المراد من قوله (صلى الله عليه وآله) : «عترتي أهل بيتي» في الحديث المذكور - والذي أوصى المسلمين فيه باتّباعهم - هو الأئمة الإثنا عشر المعصومون ، الذين يفتخر الشيعة باتّباعهم ، وأخذ الأحكام الفقهيّة عنهم .

الاصول الأربعمئة

إذا عرفت ذلك، فاعلم أنّ جماعة من أكابر رواتنا الأقدمين قد جمعوا أحاديث أئمتنا الكرام في أربعمئة كتاب تسمّى بالاصول. و قد تواتر أمرها جيلا بعد جيل.

الكتب الأربعة

ثمّ اهتمّ جمع من علمائنا الكرام و محدثينا العظام بالتصدّي لجمع تلك الاصول الشريفة، وترتيبها في كتبهم المبسّوطة بما يشتمل على الأسانيد المتّصلة بأئمتنا المعصومين، صلوات الله عليهم أجمعين، و هي الكتب التالية:

1. الكافي، و هو تأليف ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني.
 2. من لا يحضره الفقيه، و هو من تأليفات رئيس المحدثين أبي جعفر محمد بن بابويه القمّي.
 3. التهذيب، و هو من مؤلفات شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
 4. الاستبصار، و هو أيضا تأليف الفقيه و المحدث المذكور، أعني الشيخ الطوسي.
- و هبنا كتب معتبرة اخرى قد ألفها رواتنا الأبرار ، أطاب الله ثراهم و جعلهم في أعلى علّيين، كالخصال، و الأملی، و عيون الأخبار، وغيرها.
